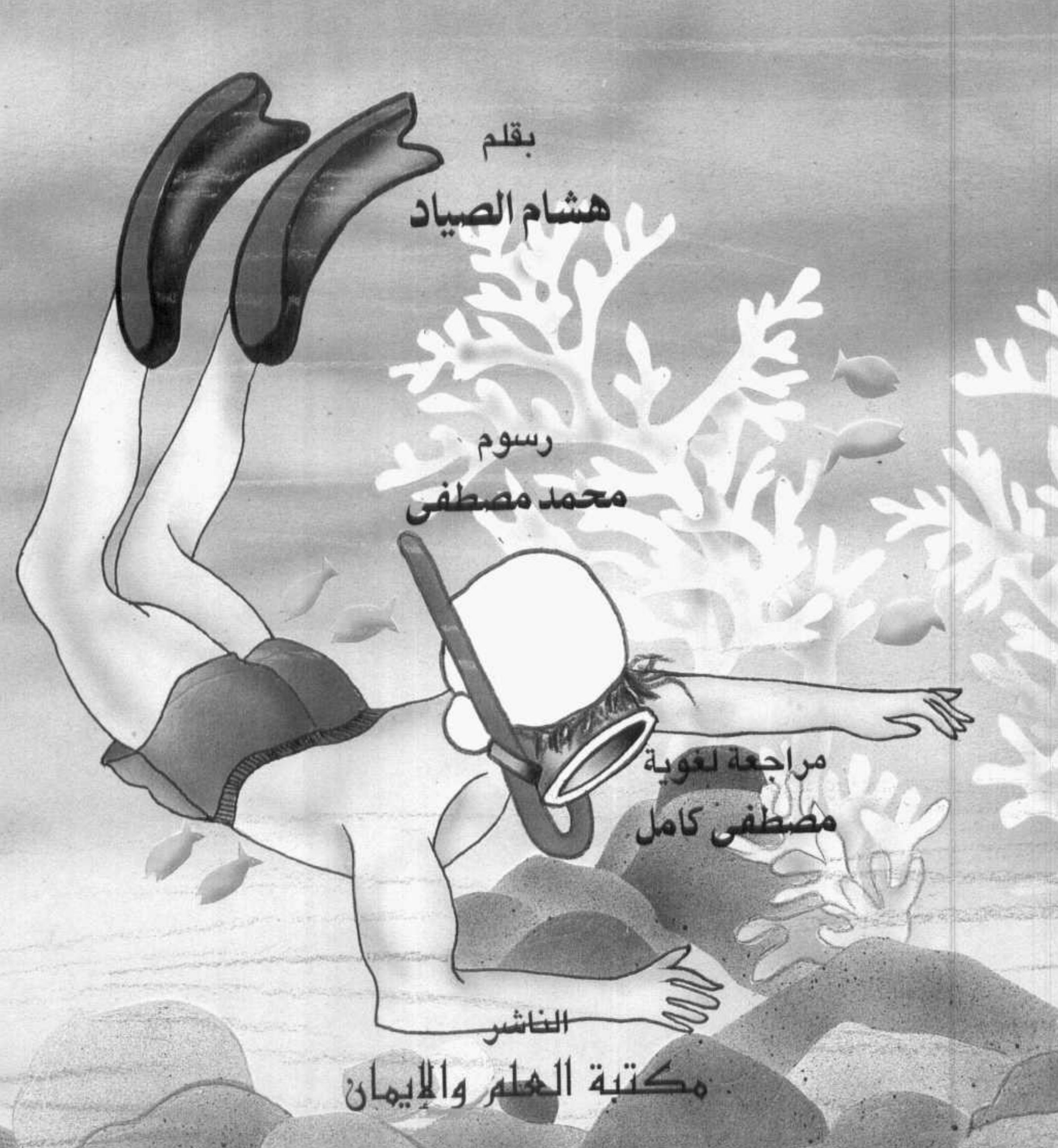
سلسلة عمار عبد البحار (٤)

عمار
ورحلة الأعماق



بقلم

هشام الصياد

رسوم

محمد مصطفى

مراجعة لغوية

مصطفى كامل

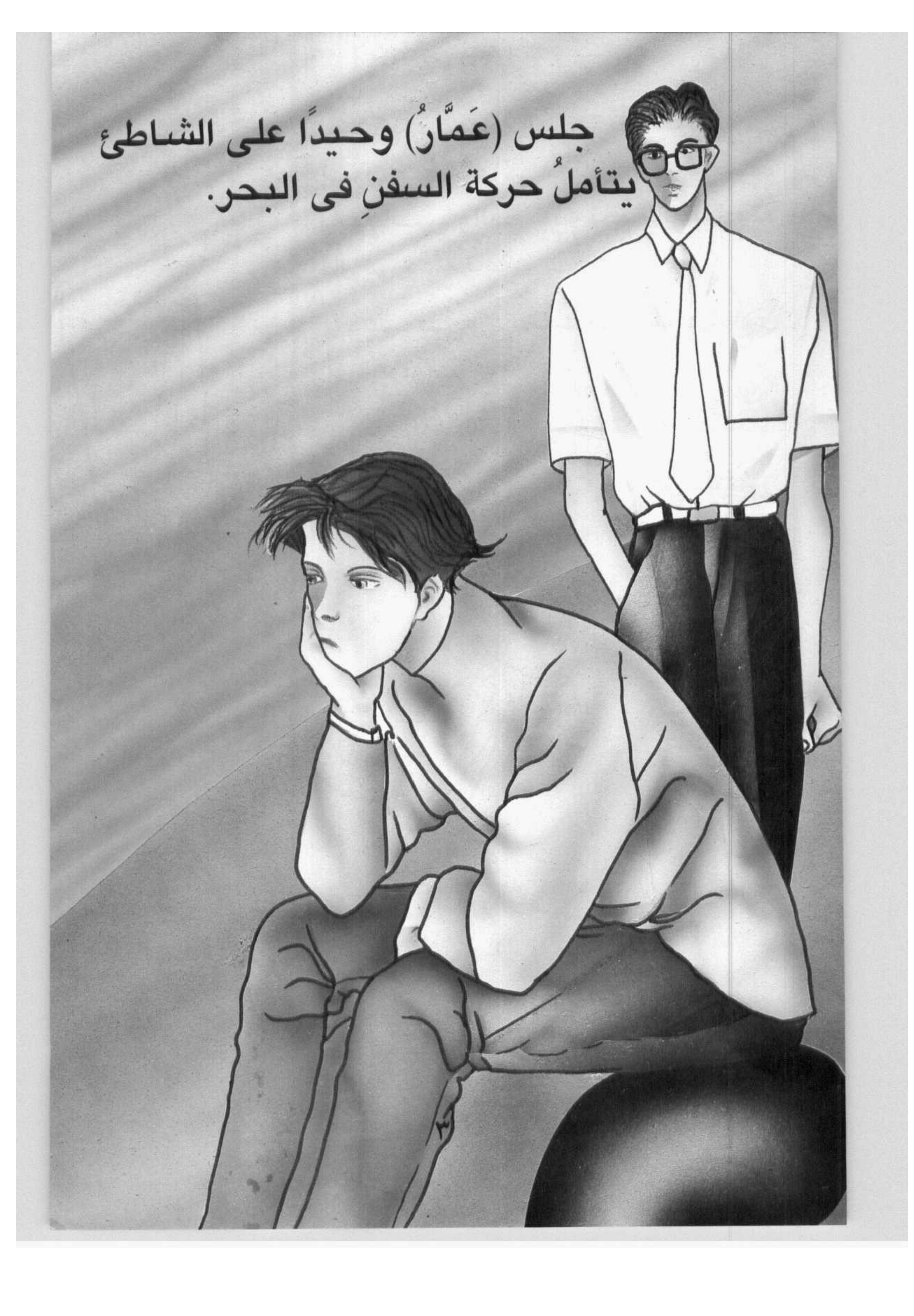
الناشر

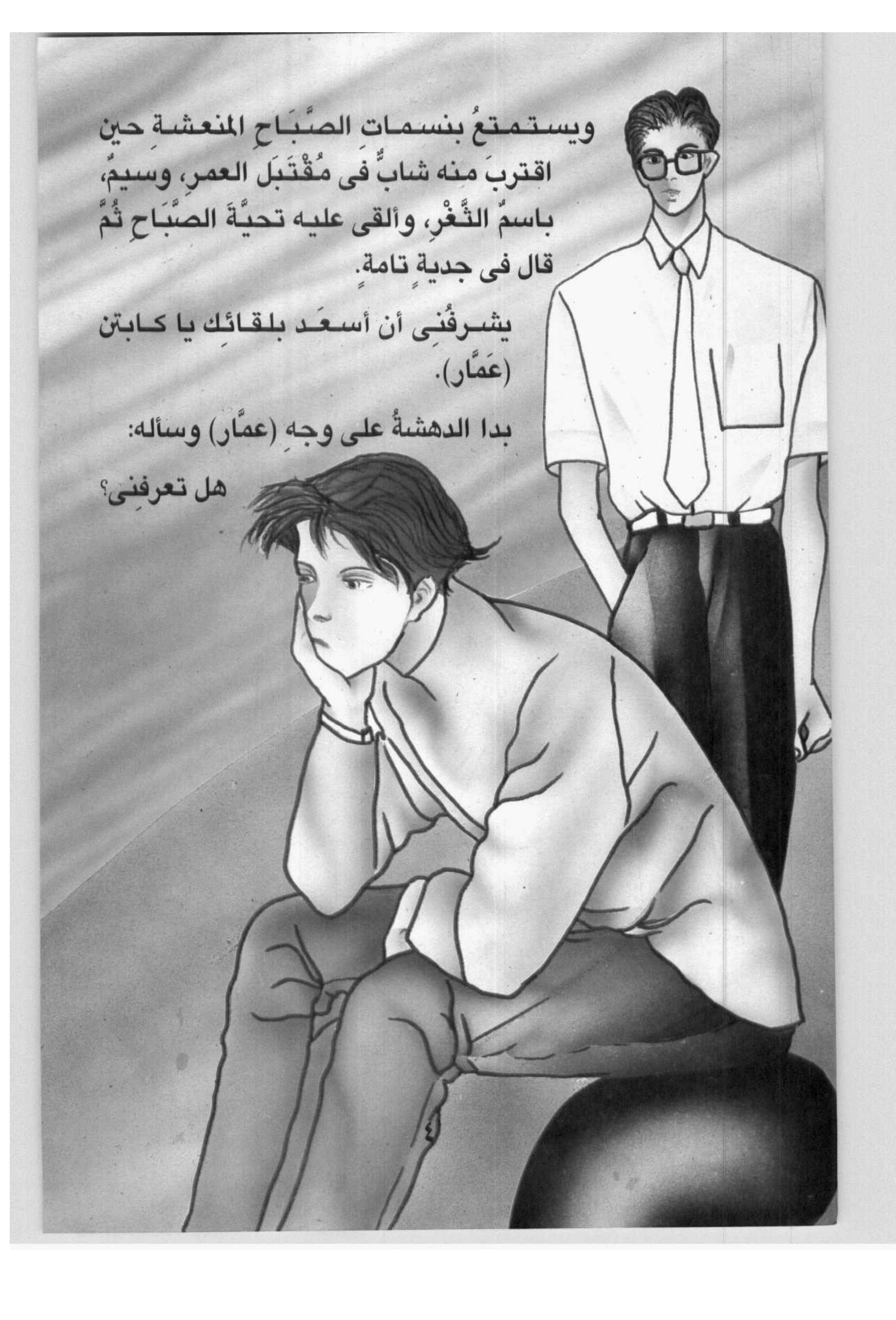
مكتبة العلم والإيمان

الناشر : مكتبة العلم والإيمان
دسوق ـ ميدان المحطة ـ ت ٥٦٠٢٨١

مقطم جرافيكا هوم
٧ شارع عبد العزيز ـ عابدين ـ القاهرة
ت : ٣٩٠٧٢٩٩ - ٣٩١٢٩٨٩

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٧ / ٨٤٥٩
ISBN 977-5744-41-5


جلس (عَمَّارُ) وحيداً على الشاطئ
يتأملُ حركةَ السفنِ فى البحر.



ويستمتعُ بنسماتِ الصَّبَاحِ المنعشةِ حين اقتربَ منه شابٌّ فى مُقْتَبَل العمرِ، وسيمٌ، باسمُ الثَّغْرِ، وألقى عليه تحيَّةَ الصَّبَاحِ ثُمَّ قال فى جديةٍ تامةٍ.

يشرفُنِى أن أسعَد بلقائِك يا كابتن (عَمَّار).

بدا الدهشةُ على وجهِ (عمَّار) وسأله:

هل تعرفنِى؟

ابتسَم الشابُّ فى هدوءٍ ثم أجابه:

فى الواقعِ أنت من أشهر البحَّارةِ فى هذه المنطقةِ، ولذا فقد لجأتُ إليك لتساعدني في مُهمَّتِي.

اعتدل (عمّار) فى جِلْسَتِه وسأله:

أَيَّة مُهمةٍ؟

ابتسمَ الشابُّ مرةً أُخْرى ثم قال :

فى البدايةِ أُقدمُ لَك نفسِي..

اسمى (ياسرُ).. وأقومُ بعمل دراساتٍ عن عالمِ الأحياءِ البحريةِ، واستكمالاً لأبحاثِى سأضطرُّ إلى الغوص فى هذه المنطقة لالتقاط بعضَ الصُّورِ الحيَّةِ للأعْماقِ، ويشرفُنِى أن تصحَبنى بسفِينَتِكَ فى هذه الرحلة.

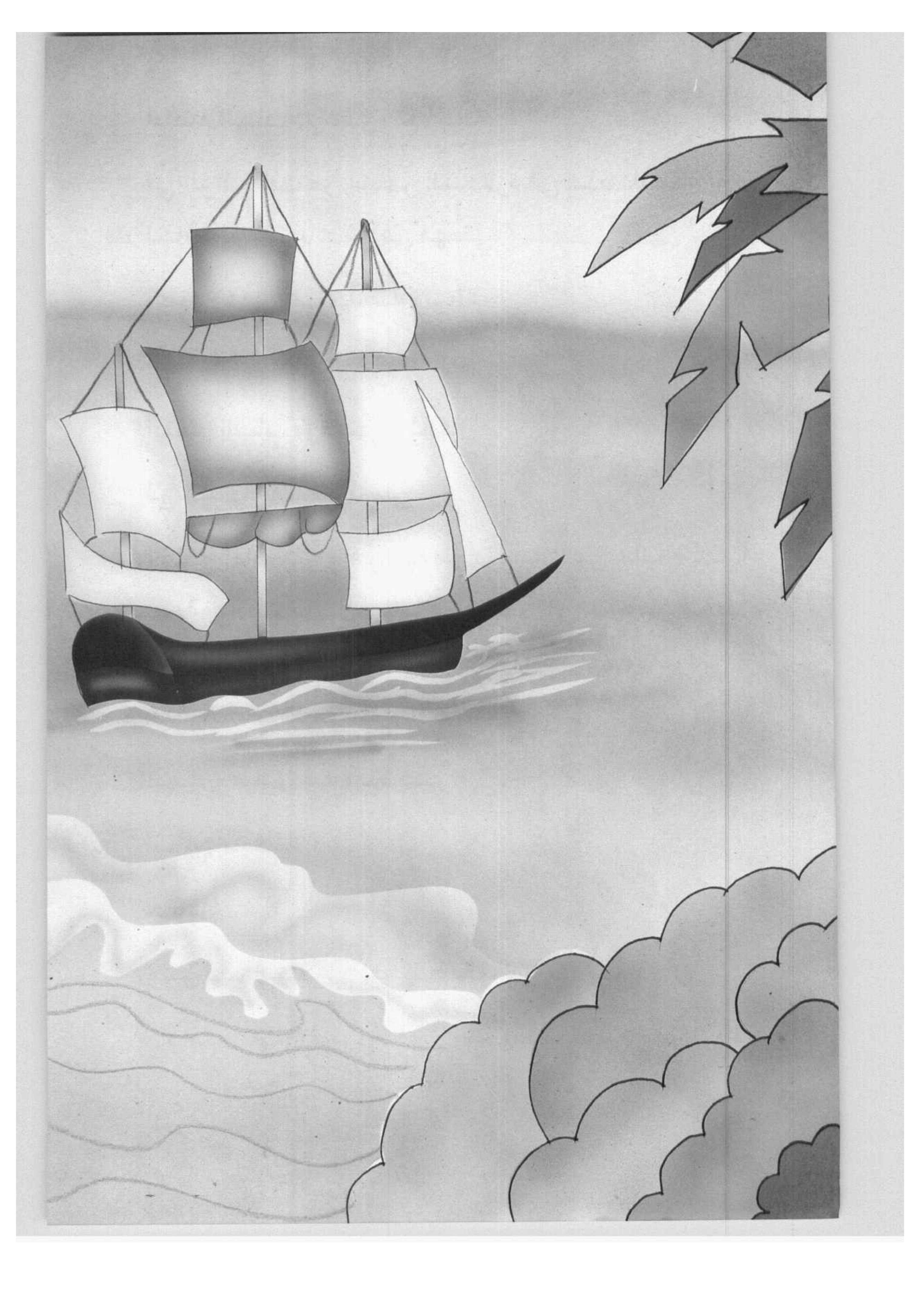
أمسك (عمارُ) ذقنَهُ بيده مفكرًا.

ثم أجابه قائلاً :

حسنًا..

ولكن بعد استخراجِ تصريحٍ بالغطسِ فى المنطقةِ.

وافقه (ياسر) بإيماءَةٍ من رأسِه وتمَّ تحديدُ موعد للرحلةِ.



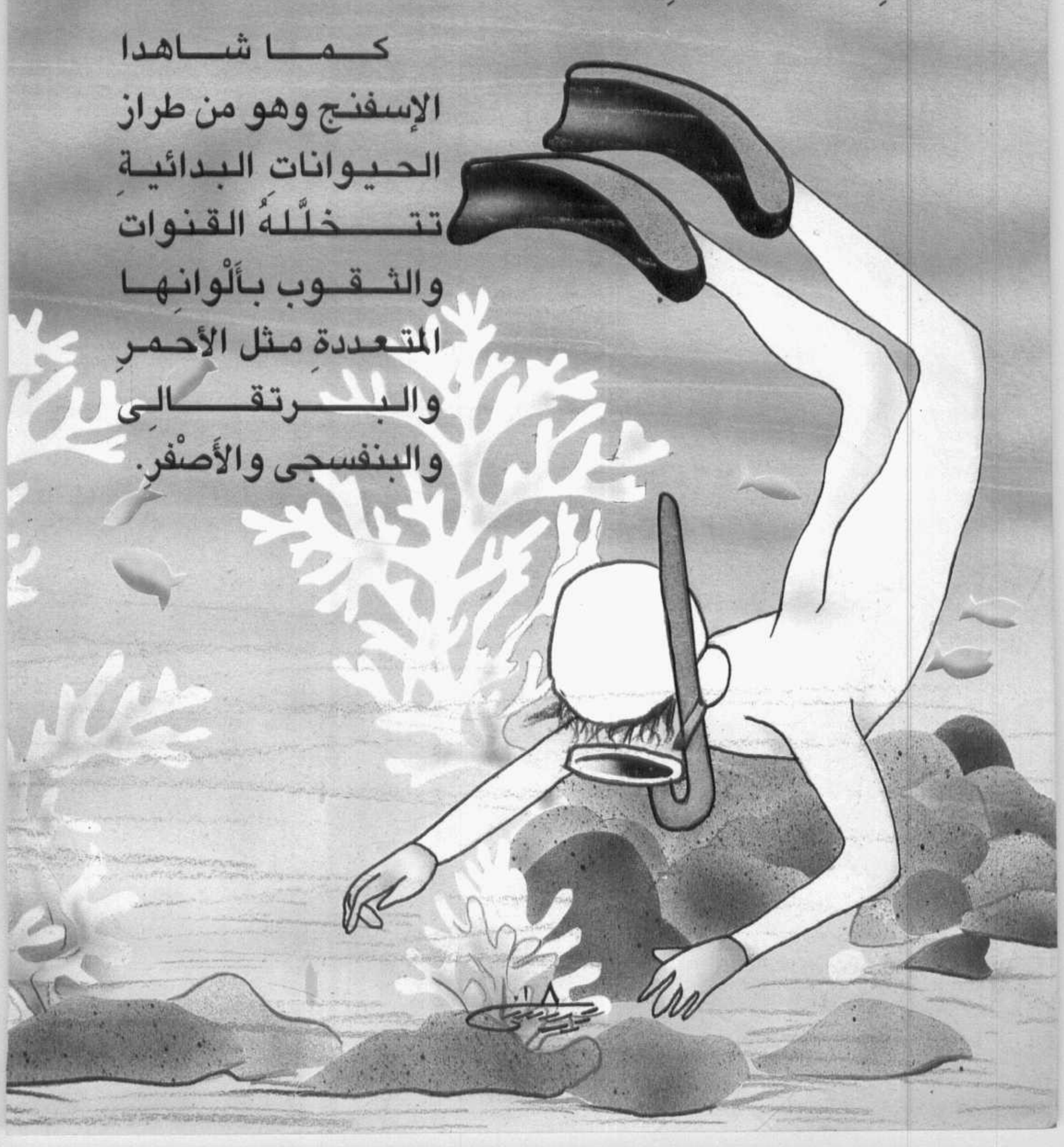


وفى الموعِد
المُحدَّد أبحَرتْ
السفينةُ (عروسُ
البحرِ) بعمَّار
وياسِر وعمّ
(مُرجان) بعد أن
ودَّعَتْهُم (فيروزُ)،
فقد طلبَ منها
شقيقَها (عمارُ)
البقاء فى المنزلِ كى
لا تتعرضَ
للأخطارِ.

وفى المنطقةِ التى حددَّها (ياسرُ) قفز مع (عمَّارُ) فى قاعِ البحرِ بعد أن ارتدى كلاً منهما ملابسَ الغوصِ بينما ظلَّ عمٌّ (مرجان) على ظهرِ السفينةِ ليتحكمَ فى قيادتها..

وفى الأعماقِ شاهدَ (عمَّارُ) مع زميلهِ (ياسرِ) الشِّعاب المرجانيةَ المتنوعَة ذاتَ الأَشْكالِ الجميلةِ، مثل الأكرُوبورا والبُوسيِاوَبُورَا والبورِيتس والفَافيا والجلاكسيا وغيرها.

كما شاهدا الإسفنج وهو من طراز الحيوانات البدائيةِ تتخلَّلهُ القنوات والثقوب بأَلْوانِها المتعددةِ مثل الأحمرِ والبرتقالِى والبنفسجى والأَصْفرِ.



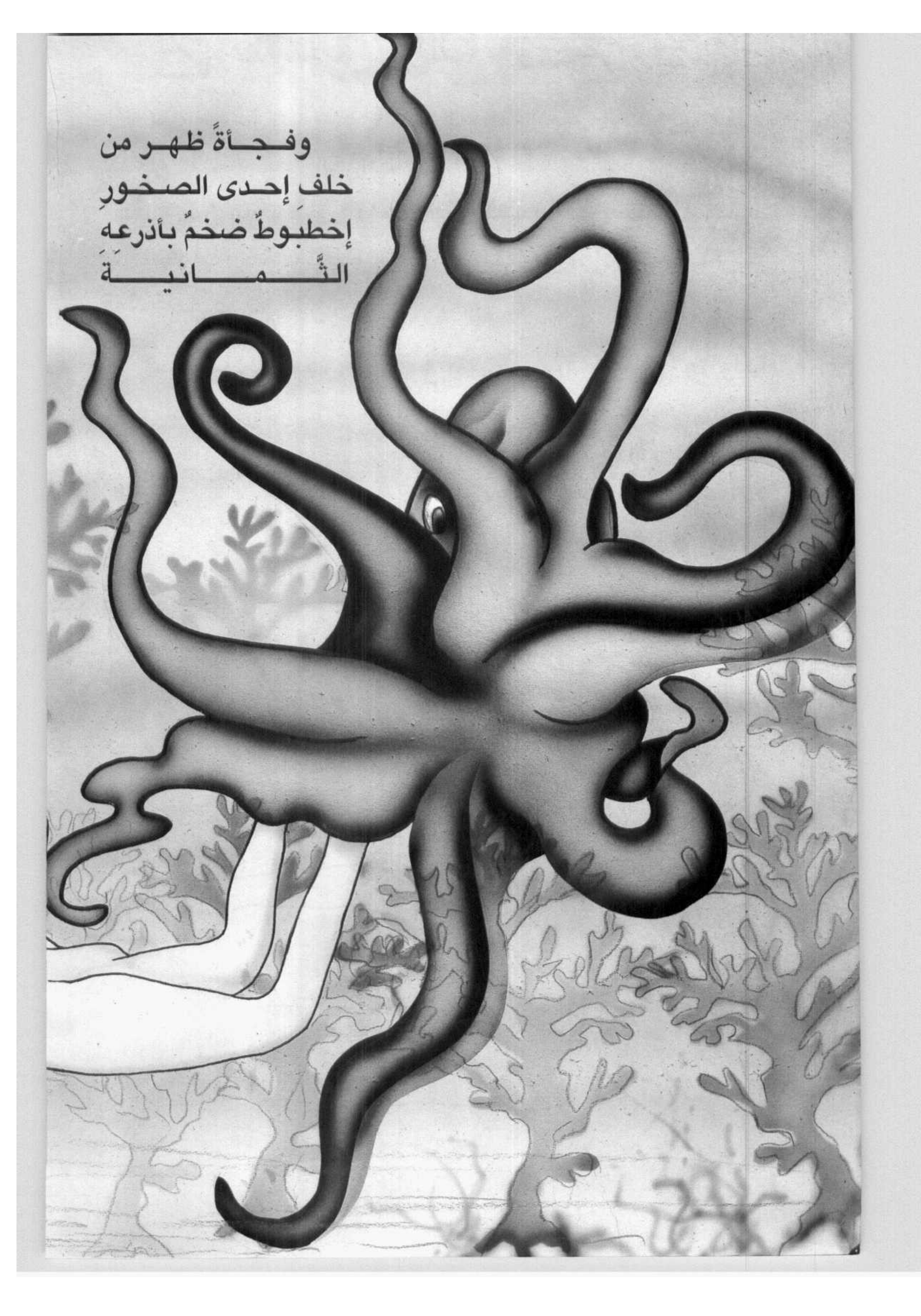
كما شاهدا حيوانات البحرِ المفصليةِ مثل الجمْبَرى وجرادِ البحرِ ذاتِ القيمة الغذائية العالية، كما استمتعا بمُشاهدة أجْناسٍ من السرطانِ الناسكِ الذى يتميزُ بأن جسمَه يلتفتُّ داخلُ قوقعةٍ فارغةٍ لحيوانٍ رخوٍ وينتقلُ بها، أى أنه يسكنُ فى قوقعةٍ من صنعِ حيوانٍ آخرَ.

كما شاهدا بعض القواقعِ المفترسةِ (فِيورُكس) و(أُولفا) و(بُوزيا) وغيرها..

وراح (ياسرَ) يلتقطُ صورًا مدهشةً لكل ما تقعُ عليه عينه وهو فى قمَّة السعادةِ..



وفجأةً ظهر من
خلفِ إحدى الصخورِ
إخطبوطٌ ضخمٌ بأذرعهِ
الثَّمانيةِ



التى رَاحت تتلوَّى كــالأفَــاعى مما بثَّ الرعبَ فى نفسِ (ياسر) وشعرَ بذعرٍ شديدٍ، وهمَّ الإخطبُوطُ بالإنقضاضِ عليه لولا أن (عمَّار) جـذبَهُ من ذراعِـه وابـتـعـدَ بـه عن ذلك الكائنِ البحرىِّ الذى كان سيعتصرهُ....

وفى حركات سريعةٍ كان الاثنانِ قد صعدا إلى سطح البحر وتسلَّقَا السفينة وهما يُتَمْتمان بحمد اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ على نجاتِهمَا وراحا يَقُصّان على عمِّ (مُرْجان) ما شاهداه فى الأعماقِ من شعابٍ مرجانيةٍ وأسماكٍ ملونةٍ ومضيئةٍ وهنا سألهما عمُّ (مرجان) فى دهشةٍ : ترى ما هى الأسماكُ المضيئة هذهِ؟

ابتسم ياسرُ ثم أجابَه فى هدوءٍ قائلاً





إن لدى بَعضِ الأسماكِ التى تنتسبُ إلى عائلات مختلفةٍ القوةُ على إنتاجِ وإصدارِ الضوء، ولقد وصف بعضُ الذين رأوا هذه الأسماكَ أنها تصدرُ الضوءَ كبريق فوسفورِىٍّ أخضرٍ سريع.

بدأت الدهشة على وجه عمّ (مُرجان) وهو يسأله :

ـ وأين تعيشُ هذه الأسماكُ يا سيد (يَاسِرِ)؟

أجابَه ياسرُ بقوله:

ـ تعيشُ هذه الأسماكُ فى الطبقةُ المظلمة من المياهِ العميقة من البحارِ.

قطب عمُّ (مُرجان) حاجبَيْه فى حيرةٍ متسائلاً :

- وما فائدةُ هذا الضوءِ بالنسبة للأسماكِ وفىَ أىِّ شىءٍ تستعملة؟؟

أجابه (عمارُ) فى حماسٍ شديدٍ :

- تستعملُ هذه الأسماكُ الضوءَ لتحديدِ نوعها وهذا مهمٌّ للغايةِ عند تزاوُجِهَا، وكل نوعٍ من هذه الأنواعِ تنتجُ الضوءَ فى أماكنَ معينةٍ.

أومأ ياسرُ برأسه علامةَ الموافقةِ ثمَّ صاحَ قائلاً :

- وهُناك سببٌ آخرُ لتزويد هذه الأسماك بأجهزةٍ للإضاءة ألا وهو جذبُ الفريسة إليها لتصبحَ فى مُتناولِ فَمِهَا.

شعر عمُّ (مُرجان) برعشةٍ تسرى فى بدنِهِ ثمَّ سأله:

- وكيف تستطيعُ هذه الأسماكُ إنتاجَ الضوءِ ياسيد ياسر؟

- عقد (ياسرُ) ساعديه أمامُ صدرِهِ ثم أجابه بقوله :

يرجعُ إنتاجُ الضوءِ فى هذه الأسماكِ إلى وجودِ خلايَا الغددِ الفوسفورية أو إلى وجود بكتريَا مضيئةٍ، ففى الأسماكِ المصْبَاحيَّةِ تكون حواملُ مصباحِ التصويرِ كبيرةً وبراقةً وتبدو كجواهرَ لامعةٍ أو أزرارٍ لؤلؤيةٍ أصليةٍ صغيرة.

تمتم عمُّ (مرجان) فى براءةٍ شديدة: سبُحْان اللّه.

وهنا أضافَ (عمَّارُ) لحديث زَميله قائلاً.

وتهاجرُ معظمُ هذه الأسماكِ إلى المياهِ السطحيةِ من الأعماقِ حيثُ تتغذَّى على العوالقِ الكثيرةِ فى اللَّيْل، وأسْماكِ أبى شعيرٍ التى تعيشُ و فى الأعماقِ تبثُّ أول شعاع للزعنفةِ الظهرية الشوكية على خِصْمِهَا وقد تطوررَّ إلى صنارةٍ وطعُم، والطُعْم عبارةُ عن مصباحٍ مضىءٍ تَجْتَذبُ الأَسْماكَ بضَوئِه، وعندما تصبحُ على مقربةٍ من الضوء، فجأة تصبحُ داخلَ فمِ سمكةِ أبى شعيرِ الواسعِ الكبيرِ.

صاح عمُّ (مرجان) فى انْبهارٍ شديدٍ :

حقاً.. البحرُ مليءٌ بالعجائب والغرائِبِ.

وأضاف عندما رأى الأسماك الصغيرة التى راحت تطيرُ فى الهَواءِ فوقَ سطح البحرِ مُسْتَطردًا: هل رأيتُمَا ما رأيتُ أم أننى فى حلمٍ.. لقد خيلّ إلىّ أن هُنَاك أسماكًا تطيرُ فوقَ الماءِ.

فأجابه (عمار) قائلاً :

- لم يكن حلمًا يا عمّ (مرجان) فقد رأينا ما شاهدتُه ولكن بالرغم من أن هناك أسماكاً متعددةً تسمىَ عادة الأسماكَ الطائرةُ فليس هناك أسماكٌ تستطيعُ الطيرانُ بشكل حقيقيٍ بطريقةِ الطيورِ. عقد عمُّ (مُرجان) حاجِبَيْه فى شك متسائلاً:

ولماذا سميت بهذا الاسْمِ إذن ؟

أجابه ياسرُ فى ثِقَةٍ:

- لأنها تنزلقُ ببساطة خلالَ الهواءَ على الزعانف الصدرية الكبيرةِ الضَّخْمَة، وبعضُ الأسماكُ الطائرةِ، تسبحُ بسرعةٍ كبيرةٍ تتراوحُ بيِن خمسٍ وعشرين، واثنيَن وثلاثين كيلومترا فى الساعة قرب سطحِ الماءِ ثمَّ تضربُ السطحَ وتفرشُ أجنحتها.

أكمل (عمارُ) ما ذكره ياسرُ حيثُ قالَ فى حماسٍ شديد:

ـ وتلجأُ هذه الأسماكُ إلى الطيرانِ للهروبِ من الأعْداء، ولكن يحدثُ ذلك أيضًا عندما يخافُ السَّمَكُ وذلك عند اقتراب أى سفينةٍ.

وأحيانًا دون سببٍ ظاهرٍ وأثناءَ الانزلاقِ عبر الهواء فإن الذيلَ يزوِّدُه بالقوةِ المحركةِ الرئيسيةِ لهذا الطيرانِ المحلّقِ، طالما الزعانفَ الصدريةَّ لاتنطبقُ كأجنحة وأغشيةِ الطُّيُورِ والخفافيش.

رفع عمُّ (مُرْجان) حاجِبَيْهِ فى دهشةٍ وسأله :

ـ ما أنواعُ هذه الأسماكِ الطائرةِ يا (عَمَّارُ)؟

ـ هناك عدةُ أنواع منها السمكةُ الطائرةُ ذاتُ الجناحِ الأسود، والسمكةَ الطائرةُ ذاتُ زعانف أربع، والسمكة المحففةُ، وسمكُ كاليفورنيَا الطائر، أما الفَرْنارُ الطائرُ فهو ذُو زعانفَ صدريةٍ أكبرَ ولكن طيرانه أقلُّ براعةً ونجاحًا من تلك الأسماك الطائرةِ، ويستطيعُ سمكُ الفراشةِ فى أنهارِ أَفْرِيقْيَا أن يقومَ بطيرانٍ قصيرٍ شاردٍ، ويستطيعُ أنْ يُرَفْرِفَ بزعانفه، ولكن ليس معروفًا إنْ كان ذلك يحدثُ عندما يُولد السَّمكُ فى الهواءَ.

وفى نهايةِ الحديث عاودَ (عَمارُ) و(ياسرُ) الغطسَ مرةً أُخْرى وتمكَّنَا من التقاطِ عدةِ صورٍ نادرةٍ لكائناتِ البحرِ العجيبةِ والغريبةِ والمدهشةِ وفى نهايةِ رحلتهم عادُوا جميعًا وفى نفسِ كلٍّ منهم ذِكْرَى طيبةٌ.

على أملِ لقاءٍ جديدٍ ورحلةٍ جديدةٍ.